أطفال أوربا في العصور الوسطى بين الرق والحرية

د/ سامية عامر
أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى
كلية التربية بورسعيد
جامعة قناة السويس

الإنسانيات
آداب دمنهور
العدد الثاني والثلاثون
سبتمبر ٢٠٠٩ م

مُقَدِّمَة

إن حياة الأطفال في مجتمعات أوربا العصور الوسطى تعد من القضايا الهامة والخطيرة التي لم تنل حظها من الدراسة أو الاهتمام رغم أن الطفل ونشأته وحياته يعتبر ركيزة رئيسية في بناء المجتمعات في أي مكان، وهذا ما دفعني لتقديم هذا البحث وذلك لخلو المكتبة العربية من أي كتابات عن حياة أطفال العصور الوسطى حتى الدراسات الأجنبية الحديثة لم تهتم هي الأخرى بإلقاء الضوء على كل جوانب حياة الطفل لذا فإن هذه الدراسة تعد الأولى من نوعها وقد اعتمدنا فيها على مصادر وأصول التاريخ الأوروبي إبان الفترة موضوع الدراسة التي اقتصرت على أطفال فرنسا كدراسة حالة رغم وجود أوجه الشبه الكبيرة في حياة أطفال أوروبا العصور الوسطى عموما.

والحقيقة أنه لم ينظر بعين الاهتمام لطفل العصور الوسطى ولم تعط مرحلة الطفولة حقها ولم يعِ أحد قيمتها أو خصائصها ومتطلباتها، بل نظر المجتمع للطفل على أنه كائن تنقصه الفطرة الإنسانية وكأنه خلق شيطاني أو بهيمة خلق ليعيش حياة دنيئة شريرة تفتقر لمعاني الرحمة والإنسانية ولم يهتم أحد بهذه القيمة الغالية في بناء المجتمع الإنساني..

وتدور هذه الدراسة حول طبقتين من هؤلاء الأطفال الأولى أطفال العبيد والأقنان، والثانية أطفال الطبقة الارستقراطية والفرسان وما ترتب على الاختلاف البين في تربية وتنشئة أطفال هاتين الطبقتين من تأثير قوي وخطير في مسار الحياة في العصور الوسطى عموماً.

ففي مجتمع عبيد الأرض والأقنان لم يلقَ الطفل أدنى قدر من الحب أو الرحمة بل دفع السادة الإقطاعيون بالأمهات دفعاً نحو المزيد والمزيد من

الإنجاب لتقوى عجلة الإنتاج في الأرض، فالطفل ما هو إلا ترس يشقى ويتعب في هذه العجلة من أجل راحة سيده، كما دفع به دفعاً نحو المشي المبكر ليساعد والديه في كل أمور الفلاحة وليسعد سيده الإقطاعي بالمزيد والمزيد من الإنتاج بصرف النظر عن صحة هذا الطفل وسلامته، أو اكتمال نضجه وصلابة عوده بل لم يهتم أحد به منذ أن كان جنيناً في بطن أمه أو بعد ميلاده، في حين نعم أطفال الطبقة الارستقراطية بالعطف والحب والحنان والمأكل والمشرب والملبس الجميل حتى الحزن كان طبقياً حيث كرم الموتى من أطفال النبلاء واحتقر موتى الأطفال الأرقاء وهذا ما سنشاهده في صفحات هذا البحث.

وتدور هذه الدراسة أيضاً كيف أن رجل الدين ساهم هو الآخر في زيادة الإحساس بالقهر والحزن والحرمان عند هؤلاء الأطفال العبيد، ولم يحنو عليهم ولم يعتادوا منه إلا القسوة والعصا والعنف في حين أقبل على أبناء النبلاء وعلمهم وأحاطهم بحنو وعطف بالغين. حقيقة أن كل الأطفال نفروا من تعليم رجل الدين وقسوته لكن الصورة كانت أقسى وأعنف عند أطفال الأرقاء والعبيد، لقد حرص رجل الدين على الاهتمام بالجانب الديني والأخلاقي، ونسى الحب والحنان والمساواة، فجاء المجتمع مشوهاً مبتوراً لم تمنحه الطفولة أية ثمار للرقي به، وهرب الأطفال جميعاً من الكنيسة.. ولم يفطن أحد إلى أهمية الطفولة ومتطلباتها ولم يفرق هنا بين الأنثى والفتى، بل أهدر للجميع طفولته وزج بالفتاة نحو الزواج المبكر جداً خاصة فتيات الطبقة الأرستقراطية التي كانت مطمعا لأي نبيل من أجل ثروتها وضياعها ولا يهم رضاها نهائيا وأحيانا كانت تعقد الزيجات من السن الخامسة من العمر حتى إذا وصلت الفتاة أحياناً لسن ١٣ عاماً ربما تكون قد تزوجت عدة مرات حيث كانت عبارة " لا يوجد ما يمنع هذا الزواج " شيئاً مألوفاً يردده كبار السادة الإقطاعيين سواء على بناتهم أو على من تحت وصايتهم، وأحياناً كانت الطفلة ذات الأربع سنوات تزف إلى نبيل عظيم من

أجل أراضيها وضياعها الشاسعة التي ورثتها عن أبيها وإذا مات هذا الزوج فربما تزف إلى رجل ثانٍ وثالث ورابع حتى إذا بلغت الثالثة عشرة من عمرها تكون امرأة محطمة لا تعلم عن طفولتها وأحلامها شيء طالما أن تكرار هذه الزيجات سيضمن الثروة والإقطاع هذا عن الفتاة الارستقراطية، أما الفتاة الفقيرة من العبيد والأقنان فكان يزج بها للزوج مبكراً من أجل زيادة الإنجاب رغم أن الفتاة الفقيرة كانت تنعم بحظ أوفر إذا كانت بالغة ومدركة لاختيار الزوج حيث اعتاد الأقنان أن يحضروا عريس ابنتهم إلى المنزل ليرى عروسه التي تحضر حافية القدمين عارية الشعر ليرى كل منهما الآخر ولها حق الرفض أو القبول، أما الفتاة الارستقراطية فكان مفتاح الرفض والقبول ثرواتها واقطاعاتها الموروثة.

هكذا نشأ طفل العصور الوسطى لتدور طفولته في عجلة الحياة القاسية ونظر إليه دائماً على أنه رجل بالغ أو أنثى بالغة دون مراعاة أي اعتبارات تتعلق بالجسم والنمو والمشاعر والأحاسيس.

هذا في الوقت الذي نعم فيه أطفال العصور الوسطى في المجتمعات العربية بقدر أكبر من الحب والاهتمام والحنو عليه منذ أن كان نطفة في بطن أمه وزاد الإحساس أكثر بعد ظهور الإسلام حيث كرم الدين الإسلامي الأطفال وضمن رزقهم وحرم وأدهم وطمأن أبويهم على مسار حياتهم فاطمأنت القلوب ونعم الطفل بجو البادية الجميل، وغرست فيه معالم الفروسية والشجاعة والدين والتعليم سواء في الكتاتيب أو المساجد، لقد نشأ الطفل ليكون عضداً لوالديه ولمجتمعه وكان رسول اله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة في العطف على الصغير واللعب مع أحفاده والعطف عليهم بمعنى أن الطفل الشرقي نشأ آمناً سعيداً مبتسماً مطمئناً ساهم وبنجاح في نهضة هذا المجتمع في حين نشأ طفل أوربا في العصور الوسطى كاداً حزيناً، شارداً، شقياً لم ينعم لا بالحب ولا الحنان.

وقد تركت هذه الطفولة البائسة آثارها الوخيمة في الحياة الأوربية في العصور الوسطى فترة طويلة من الزمن حتى إذا هبت أوربا من غفوتها واندثر الإقطاع بصورته القميئة حدثت الصحوة وسارت الطفولة في مسارها الصحيح لتدعم وتسهم في نهضة هذا المجتمع وتكون أداة فاعلة في نهضة أوربا في نهاية العصور الوسطى ثم الحديثة ولعل هذا يوضح ويؤكد أن الطفل بهذه الصورة كان سببا رئيسيا في تخلف مجتمعات أوروبا في العصور الوسطى حضاريا وتألق المجتمع العربي والإسلامي بسبب مقدرة أبنائه على النهوض به والإسهام في الحضارة الإنسانية نظرا للاهتمام الكبير الذي أولاه الدين الإسلامي لأبنائه لهذه الطفولة.

ونستهل حديثنا عن أطفال العصور الوسطي بظاهرة كثرة الإنجاب وأسبابها ومخاطرها على حياة الأبناء والأمهات عموماً ، فمن المعروف أن هذا المجتمع كان مجتمعاً إقطاعيا وكانت الزراعة وفلاحة الأرض هي، عماد الاقتصاد فيه– لذلك كان أبناء الفلاحين يقع عليهم مع أسرهم العبء الأكبر في دعم عصب هذا النمط من الحياة [1] فقد كان استصلاح الأراضي وجني المحاصيل ، وغيرها من الأولويات الهامة التي تدعم حرفة الزراعة وتعمل على نجاحها من مسئولية هؤلاء الأرقاء وبالتالي أصبحت كثرة الإنجاب هدفاً رئيسياً ورغبة ملحة من أجل دوران هذه العجلة لأن كلما زاد عدد أفراد الأسرة ، يقل الجهد والتعب الذي يتحمله الأبوان في رعاية أرض السادة وما يترتب على هذا من زيادة في الإنتاج وأملاَ ضعيفاً في تحقيق قدر أكبر من الانتعاش الاقتصادي لهذه الأسر الفقيرة المحرومة ولكن كان لإنجاب الذكر أهمية وفرحة أكبر من الأنثى التي كانت مساهمتها ليست بالقدر المطلوب في مجال الزراعة بل في خدمة المنازل.

ويقال إن السادة الإقطاعيين كانوا يشجعون على كثرة الإنجاب حتى لو كان بالرذيلة ، ولم ينظر أحد إلى صحة الأمهات من طبقة العبيد حيث المعاناة المستمرة بسبب الفقر المدقع والمسكن المظلم القذر الذي لا دفء

فيه ولا ضوء وأصبح كل ما يهم الفلاح أن يسعد سيده بكثرة الإنجاب ليضمن استقرار مقومات زراعة المحاصيل واستصلاح الأرض وزيادة الإنتاج لذا كان ميلاد أبناء العبيد من الذكور ثروة للأبوين وللسادة أيضا حتى في حالة موت أحد الأبوين فإن من احتضن هؤلاء الأطفال الأيتام سواء كانوا من رجال الدين أو من النبلاء لم يكن حباً فيهم قدر ما هو استغلالاً لطاقتهم [٢] ولكن لم يكن هذا هو حال أسر النبلاء وأبناء الطبقة الأرستقراطية فقد نعمت سيدات هذا المجتمع وأطفاله بالحرص الشديد على صحتهن وغذائهن طيلة فترة الحمل لأن أطفال هذه الطبقة كانت تشكل أيضاً ثروة لآبائهم ليرثوا أملاك الأسرة ومناصبها. لذا كان الجميع يتمنى طفلاً صحيحاً معافاً قادراً على استكمال دور الأب وذلك إذا قارناه بمواليد الطبقة الدنيا من المجتمع من أبناء الفلاحين والعبيد.

أما يوم ولادة الطفل في كلا الطبقتين فقد كان حدثاً هاماً بين أفراد الأسرة وتميزت بقدر كبير من التقاليد والموروثات الشعبية حيث تكثر الأدعية للأم بولادة سهلة، يسيرة وأن يكون الطفل مصدراً للرزق وعوناً لوالديه، وتتزايد الأدعية بأن يكون المولود ذكراً وليس أنثى ويقال أن عدداً من الآباء كان يلجأ لتطليق زوجته بمساعدة أسقف المدينة، أو القرية، إذا فشلت في إنجاب الذكر [٣].

وكانت لحظة الولادة عند أسر العبيد مصدر رعب وقلق كبيرين بسبب كثرة الوفيات إما نتيجة الولادة المتعثرة أو لضعف صحة الأم والجنين لأن هذه الأم لم ينظر لها بعين الرحمة من قبل سادتها بل كل ما حصلت عليه من عطف هو إعفائها من ضريبة الدجاجة [٤] التي كانت تقدمها لسيدها بعد الولادة أما إذا كانت الولادة تتطلب إجراء جراحة قيصرية مثلاً ، فقد كانت تتم بطرق سيئة وبدائية جداً وكانت الأم أو الجنين دائماً الضحية [٥]في حين اشرف على ولادة نساء الطبقة الأرستقراطية طبيب لديه خبرة جيدة ومستعد لإجراء الجراحة إذا لزم الأمر في حين تشرف القابلة

على ولادة النساء العبيد وكان رجال الدين في الكنيسة الملحقة بالضيعة هم المسئولين عن توفيرها للفلاحين حيث يمنح القس القابلة رخصة ممارسة هذه المهنة ، ولابد أن تكون لديها خبرة لا تقل عن ١٠ سنوات ونادراً ما يحضر الطبيب لأمهات الأسر الفقيرة ، أما القابلة المسئولة عن عملية الولادة فقد كان من المتبع وجود إحدى سيدات الأسرة معها وكان يطلب من الزوج مغادرة المنزل نهائيا على أن يجلس في مكان بعيد يلتزم فيه الصلاة والدعاء للأم بأن ينقذها الله من هذه المحنة ، ثم يقوم أفراد الأسرة بإشعال النيران حول الغرفة من كل جانب لإدخال الدفء ولتسخين الماء لغسل المولود ومن التقاليد الموروثة التي كان يتفاءل بها أهل الأم أثناء الولادة هو استمرار فتح وغلق الأبواب والنوافذ إذا وجدت وفتح صدور الملابس وخلع القلادات وإطلاق أسهم نارية في السماء اعتقاداً منهم أن هذا يسهل من عثرات الولادة ومخاطرها ويقال إنها عادات عرفت عند شعوب الفيكنج وانتقلت إلى إنجلترا بعد الغزو الداني ومنها إلى فرنسا[٦]، فإذا تمت الولادة بسلام كانت القابلة تغسل الطفل في ماء دافئ إذا كان من أبناء العامة من الشعب ، أما أبناء الأغنياء فكان الطفل يغسل بالماء الدافئ أولاً ، ثم يوضع في اللبن الدافئ والنبيذ ويمسح لسانه بالعسل تفاؤلاً واعتقاداً منهم أن هذا يفتح شهية الطفل مدى الحياة.

ثم تأتي مرحلة التقميط فإذا كان المولود ذكراً كانت الأسر الغنية تعد شريطا طويلاً من الكتان يلف حول جسد الطفل كله بدءاً من الرأس ما عدا الوجه وتعتقد سيدات الطبقة الارستقراطية أن التقميط يجعل قوام الطفل ممشوقاً وقوياً ويجعل حجم الرأس معتدلاً وجميلاً كما يساعد على نمو الساقين باعتدال وهذا من المتطلبات الهامة لطبقة الفرسان أيضاً نظراً للمهمة العسكرية التي توكل للطفل من سن السابعة لينخرط في مدرسة الفرسان استعداداً لتنصيبه فارساً وما يتطلبه هذا من قوام قوي وسليم.

وقد اعتقد النبلاء ومن في مستواهم أن التقميط شيء أساسي بل هو من متطلبات الأبهة والعظمة لكن أبناء الفلاحين فلم يقمطوا نهائيا لعدة أسباب، أولاً لأن القوام الممشوق والأبهة لم يكن من متطلبات حياتهم ، وثانيا لأن التقميط يعوق عملية الحبو والمشي المبكر ويؤخر من الهدف الأساسي من إنجابه ليكون أداة عاملة في أرض الإقطاعي.

وكان من عادة كل الأسر بعد ذلك أن ينام الطفل في غرفة مظلمة لفترة طويلة بعد ولادته اعتقاداً منم أن الضوء الساطع يؤثر على قوة بصره[٧]تأتي بعد ذلك مراسم التعميد الكنسي للمولود[٨]وكانت لها طقوسها أيضاً وقد اختلفت من أسرة إلى أخرى حسب المكانة الاجتماعية لأهل الطفل وقد نظر رجال الدين لمراسم التعميد على أنها الرباط المقدس بين الطفل والكنيسة بل هو أقوى من رابطة الدم[٩]حيث صدر قانون في إنجلترا يلزم الآباء بتعميد أبنائهم خلال ٣٠ يوماً من ولادتهم وإذا زاد عن ذلك يدفع غرامة كبيرة للكنيسة وإذا مات الطفل قبل التعميد تزيد الغرامة حتى تصل إلى سلبه حريته أو أي مزايا أخرى منحت له حيث اعتبر التعميد أهم الخطوات ا لمطلوبة للتمسك بالتعاليم والقيم الكنسية ، وكان الوالدان يرون في التعميد رمزاً للتفاؤل والخير ، لأن الطفل بعد التعميد أصبح عضواً وابناً للكنيسة.

وقد اختلفت الروايات حول موعد التعميد فيقال إنه كان يتم بعد ٤٠ يوماً من الولادة أو ٣٠ يوماً وقيل أنه كان يتم في نفس يوم الولادة حيث تحمله القابلة أو الطبيب على الفور إلى الكنيسة التي كانت دائماً ملحقة بالضيعة التي يعمل فيها الفلاح ويقيم بها أيضاً السادة الإقطاعيون وأسرهم ، فإذا كان المولود ذكراً حضر الأبوان والقابلة وثلاثة من آباء الكنيسة[١٠] أما إذا كان المولود أنثى حضر الأبوان واثنتين من الأمهات الراهبات وواحد فقط من القساوسة وكان المولود الأرستقراطي يرتدي ثوباً من الكتان الأبيض الناصع بالإضافة إلى ثياب أخرى فاخرة من أسفل، أما أبناء الفقراء فكان

يلف في رداء من الصوف الرمادي اللون المطعم باللون الأحمر وهو النوع الوحيد الذي كانت تغزله النساء لكل أفراد الأسرة وكان القس يتلو في أذن الطفل أربعة عشر بنداً عن العقيدة الحق ثم الوصايا العشر وسبعة من الطقوس الدينية التي يجب على الطفل أن يلتزم بها وسبعة من الخطايا المميتة التي يجب ألا يرتكبها حين يكبر ، ثم يلقي بالطفل في الماء المقدس ، بعدها يركع كل الحاضرين على ركبهم حول الطفل ويضع الجميع يده على صدره رمزاً للشكر للرب على هذه الهبة الجميلة ، وكان القس يمسح فم الأطفال الأرستقراطيين بملعقة من ذهب ليكثر رزقه وتصلح حياته ويمسح فم أطفال العبيد بمعلقة من فضة ويدعو له أن ينفع والديه وينمو صحيحاً معافىً ويكون سنداً قوياً في أرض سيده الإقطاعي [١١].

وكان يوم التعميد بمثابة احتفال مهيب يحضره الأهل والجيران والأصدقاء حيث يقدم الجميع بعد التعميد مباشرة الهدايا والأموال[١٢]، أما الفقراء فكانت الهدايا متواضعة جداً لا تخرج عن نطاق بعض الحبوب ، أو الخبز ، بما يتماشى مع حالة الضنك والحرمان التي كان يعيشها أهل الطفل وأصدقائهم من نفس الطبقة عكس أبناء السادة الذين كانت هداياهم قيمة ونادرة.

ومما زاد الطين بلة أن الفلاح المسكين كان لزاماً عليه أن يقدم هدية قيمة لسيده إذا رزق بمولود ، ولم يحدث العكس أبداً ، يلي ذلك مباشرة اختيار اسم الطفل وكان يتم بمشاركة الأهل والأصدقاء أيضاً، ويكون داخل الكنيسة وكانت الأسر تختار أسماء جميلة لها معنى يرمز إلى الصحة وطول العمر والرزق الوفير والجمال الباهر ولم تختلف الطبقتان في هذا الأمر [١٣]أما الرضاعة فقد اختلفت طريقتها حسب الحالة الاقتصادية للأسرة فالأمهات من طبقة العبيد كن يرضعن أبنائهن بأنفسهن وكانت الأم ترضع طفلها حتى أثناء العمل في الحقل حتى لا تتوقف لحظة حيث كانت تربطه بقطعة من القماش وتلفها حول وسطها ومما سهل من هذه الطريقة أن

أطفال تلك الطبقة لم يقمطوا لذا سهل على الأم حمله بأي طريقة وإذا تعبت الأم من عناء العمل وحمل الطفل وضعته جانباً على الأرض لينام على رداء ثقيل لتحميه من البرد وكان محظوراً على هذه الطبقة استئجار المرضعات لأن هذه الرفاهية من حق سيدات الطبقة الثرية فقط ولم تتولى المرضعة أطفال العبيد ألا إذا مرضت الأم مرضاً شديداً أو ماتت ، هنا تتولى الكنيسة تدبير أمر المرضعة للطفل حيث كانت الكنيسة تشجع السيدات الفقيرات للعمل كمرضعات تطوعاً لأبناء العبيد باعتبار أن هذا عمل خير تقدمه المرضعة من أجل مرضاة الرب [١٤]، أما الأم المريضة فقد كانت تلجأ إلى وسائل بديلة لابنها إن لم تساعدها الكنيسة بتوفير المرضعة ، فقد كانت تذيب الخبز في اللبن حتى يصير سائلاً ثم تعطيه للطفل من خلال قمع دقيق جداً أو تقوم هي بتنقيط الحليب في فم الطفل مباشرة .

أما الأسر الأرستقراطية فقد سهل عليها جداً الاستعانة بالمرضعة حتى لو كانت الأم تتمتع بصحة جيدة. وبصرف النظر عن وجود الأم أو عدمه فقد كان النبلاء يغدقون العطايا على الكنيسة من أجل إحضار المرضعات لأبنائهم ، وأحياناً لإرضاع الأطفال اليتامى حتى ينمو الطفل بسرعة ، ويشتد عوده ليستفيد منه السيد في أرضه بل يقال إن الطفل كان يدفع دفعاً نحو المشي المبكر ليساهم في العمل ، ويشير المؤرخون أيضاً أن الأسر الغنية لم تكن تعتمد على المرضعة في الرضاعة فقط بل هي المسؤولة عن استحمام ، ونظافة الطفل طوال اليوم، وأيضاً الغناء له بألحان رقيقة حتى ينام[١٥]، ومن الطريف في هذا الموضوع ما أشارت إليه إحدى الوثائق في باريس أن عدد الأطفال المضطربين نفسياً كان كبيراً جداً في الأسر الغنية وذلك بسبب حرمان الطفل من الرضاعة الطبيعية من أمه والاعتماد على الغرباء في هذا الأمر وأنها نسبة بسيطة عند أبناء الفلاحين بسبب التزام الأم بالرضاعة لطفلها، ويقال إن الكنيسة أيضاً وضعت طقوساً

خاصة بفطام الأطفال حيث تبدأ الأم فطام طفلها بأداء صلوات وطقوس معينة يشرف عليها رجل الدين بنفسه، ليؤكد هيمنة الكنيسة على حياة البشر ودقائق تفاصيلها.

أما الظاهرة الخطيرة التي تدعو للدهشة و للدراسة أيضاً فهي كثرة عدد وفيات الأطفال في العصور الوسطي عموماً ليس في الغرب فقط بل في الشرق أيضاً[١٦]، فقط ثبت أن [٢٢%] من الأطفال ماتوا في لحظة الولادة و [٥٠%] من الوفيات نتيجة حوادث مؤلمة للطفل بسبب دفعه للعمل المبكر في أرض الإقطاعي وأن ما يقرب من [١٤ %] نتيجة سوء التغذية والأمراض والميكروبات والأوبئة وأن هذه النسبة مرتفعة جداً عند أطفال الأسر الفقيرة ، وإذا نظرنا إلى فرنسا على سبيل المثال سوف نجد أن أسباباً كثيرة اجتمعت على هؤلاء الأطفال وأهمها سوء تغذية الأم أثناء الحمل، ثم الولادة المتعثرة ومخاطرها ، أو نتيجة البرد الشديد بسبب حمل أمه له طوال فترة عملها أو وضعه بجوارها على الأرض أو من شدة الجوع أو بسبب انشغال الأم عنه بما تتحمله من أعباء مريرة طوال اليوم بالإضافة إلى سبب أخطر من ذلك حيث يتم دفع الطفل للعمل في الحقل مجرد بلوغه سن الخامسة أو بمجرد أن يمشي فقد كان عليه أن يجمع الحطب ، ويطعم الطيور ، ويحمل الماء من البئر[١٧]، ويجمع الثمار، كل هذا جعله عرضة إما للموت غريقاً في البئر أو النهر ، أو حريقاً من لهيب حرائق الغابات، أو دهساً تحت أرجل العربات التي تجرها الحيوانات، أو خلف المحراث دون أن يعطيه أحد أي اهتمام ولم يجد من ينقذه من هذا الهلاك لانهماك الوالدين في العمل الشاق منذ طلوع الشمس وحتى الغروب.

ورغم الصمت الشديد في المصادر والوثائق حول ارتفاع نسبة الوفيات وأسبابها إلا أن عدداً من الوثائق التي وجدت في أرشيف إحدى الكنائس تشير إلى أنه عقدت محاكمات للوالدين الذين فقدوا أولادهم نتيجة هذه الحوادث ويقال إن الكنيسة كانت تعاقب الوالدين بشدة ولم تعفى الأم

من المسئولية حتى لو أثبتت أنها كانت تؤدي الصلاة في الكنيسة لحظة وقوع الحادث[١٨]وقد لوحظ أيضاً أن حزن الوالدين على وفاة أطفالهم لم يكن كبيراً كما ينبغي ، ويرى البعض أن الحياة الصعبة المذلة التي عاشها هؤلاء العبيد لم تجعل للحزن والبكاء مكانا كما يرى آخرون أن كثرة الإنجاب وتزايد عدد الأبناء وانتظار المولود بعد الآخر جعل من هذا الطفل مجرد أداة فقط لتحقيق المكسب المادي في أرض السيد الإقطاعي لإرضائه[١٩] بمعني أنه لم يكن هناك عمقاً عاطفيا بين الآباء وأبنائهم، بل تحولت هذه العاطفة الراقية إلى شكل مادي مجوف.

وقد بالغ البعض قائلاً بأن هذا الجمود العاطفي من الآباء الفقراء تجاه أبنائهم كان من أهم أسباب كثرة الوفيات [٢٠] فالأبوين لم يملكا أصلاً وقتاً للحب أو للحزن على أبنائهم، بل كان كل همهم إنجاب المزيد والمزيد من الأطفال لإرضاء سادتهم والدليل أنه لم يعثر في أي مدينة على قبر أو شاهد لطفل من الطبقة العامة ولكن عثر في أحد أحياء باريس مثلاً على قبر على شكل دمية لأحد أطفال الطبقة الأرستقراطية الذين حرصوا على بناء قبور لأطفالهم رمزاً للحب والحنان ، ولكني أرى أن مسألة عدم حزن العامة على أولادهم أمراً مستحيلاً لأنه شعور فطري وإحساس أبدي ولكن ليس بالضرورة أن يظهره هؤلاء المساكين ليلاً ونهاراً لأن طبيعة الحياة القاسية السريعة التي كان يعيشها الفلاح وأسرته لم تترك له مجالاً لإعلان الحزن بالصورة التي يتصورها البعض في حين يرى البعض الآخر أن عدم حزن الآباء على أبنائهم لم يكن قاصراً على العامة فقط بدليل أن الأمير الإنجليزي إدوارد الأول Edward I حين خرج بحملته الصليبية عام ١٢٧٠ متجهاً إلى تونس وهي حملة مشؤومة عليه وعلى ملك فرنسا لويس التاسع ، مات ابنه الأمير يوحنا Yohn كما مات في نفس الوقت أبوه الملك هنري HenryII، ولم يحزن إدوارد على ابنه كما حزن على أبيه ولما سئل عن هذا قال " إن فقدان الابن هو الأسهل لإمكانية إنجاب أبناء كثيرين

أما الأب فهو الشيء الأكثر حزناً لعدم قدرة الأبناء على تعويض آبائهم ".[٢١]

و تشير بعض الروايات إلى قضية في غاية الخطورة ألا و هي ظاهرة وأد الأطفال في المهد، ويقال إن العبيد لجأوا إلى هذا العمل المشين إذا ولد لهم طفل مشوه أو مريض أو ظهرت عليه بوادر التخلف العقلي حيث اعتبروا أن هذا الطفل ما استحق أن يولد أصلا لأنه سوف يضيف عبئا جديدا على الوالدين و تشير الرواية أن هذه العادة الذميمة عرفت بكثرة قبل ظهور الديانات السماوية مثلما كان الحال في المشرق الإسلامي[٢٢] حين كان توأد الأنثى ولكن تصدى لهذا الرأي عدد آخر من المؤرخين الذين نفوا وبصورة قاطعة أن تكون هذه ظاهرة عامة، لأن المسيحية وسماحتها قد تبلورت وتأصلت مبادئها في نفوس الجميع وأن هذه العادة الذميمة قد اقترنت في مختلف الأزمان بجريمة الزنا وإنجاب الأطفال غير الشرعيين ويدافع أصحاب هذا الرأي بان فكرة الثواب والعقاب والإيمان الحق قد تغلغلت في نفوس الجميع الذين كانوا على قناعة كبيرة بان لعنة الرب وانتقامه ستكون مضاعفة لمن يوأد طفل مهما كانت الأسباب والدوافع وان ما حدث في إنجلترا أو فرنسا آنذاك هي مجرد حالات فردية اقترنت بخطيئة البشر في كل زمان ومكان[٢٣].

تبقى لنا وقفة أخيرة أمام قضية كثرة وفيات الأطفال وأسبابها وفتور مشاعر الحزن والشجن عند الوالدين بأن هذا المناخ قد انعكس على الهام و إبداعات الفنانين و الشعراء حيث لم تكن ملامح الطفولة وعذوبتها، وملابس الأطفال و ألعابهم مصدر الهام لفناني العصور الوسطى ما عدا إحدى القصائد لشاعر مجهول عثر عليها في مكتبة أحد الأديرة في لندن وتسمى (مذبحة الأبرياء المقدسة) وهي تحكي عن أسماء لأطفال كثيرين ماتوا في حوادث مأساوية و لم يحزن عليهم أحد . وقد كتبت الأبيات بشكل مؤثر جداً، وأوضحت أن معظم هؤلاء الضحايا الأبرياء هم من طبقة العبيد وأن

المجتمع لم يكترث لهذا المخلوق البريء لأنه فقير في الوقت الذي أظهرت فيه القصيدة رفاهية الأطفال الأرستقراطيين ومدى الحرص على سلامتهم.

والقصيدة توضح مدى هيمنة الطبقة الأرستقراطية حتى على مشاعر الحزن والألم في مجتمع العصور الوسطى [٢٤]

أما عن الحياة اليومية للطفل من سن الخامسة فقد اختلفت من طفل إلى أخر كل حسب حالته الاجتماعية سواء كانوا من طبقة العبيد أو النبلاء أو الفرسان.

فقد ارتبطت حياة الطفل اليومية بالكنيسة التي اعتبرت أن كل ابن يعمد هو ابن لها تربطه به رابطة الدم والعقيدة ولأن المجتمع سيطر عليه الفكر الديني ورجال الدين عموما لذا نجد أن أطفال الطبقة الارستقراطية في إنجلترا مثلاً لم يترك لهم مجالاً للخروج بعيدا عن هذا النطاق، أما أبناء العبيد الذين ارتبطت حياتهم اليومية بالأرض من وقت الشروق وحتى الغروب حيث كان الطفل يعمل ١٠ ساعات يوميا بصورة لا تعطى له فرصة الذهاب للكنيسة إلا في أيام الآحاد التي حرم فيها العمل نهائيا والتزم الجميع بزيارة الكنيسة وأداء الصلوات لذا سيكون حديثنا في هذه النقطة عن أبناء الطبقة الثرية الذين استقطبهم رجال الدين منذ الصغر ولأن الكنيسة ارتبطت بالضيعة التي يملكها السادة الإقطاعيون فقد بدأ الطفل يومه بالتوجه للكنيسة من السابعة صباحا حيث تبدأ الصلوات [٢٥]، بعدها يبدأ برنامج صارم يتدرب فيه الطفل على الهدوء والخشوع وتحمل الصوم ، يليه برنامج لتعليم القراءة و الكتابة والموسيقى و الحساب [٢٦]ثم التدريب على الالتزامات الدينية الأخرى فهو يتعلم كيفية إعداد المذبح للقداس و حمل البخور والمياه المقدسة ، ويحفظ مواعيد دق الأجراس ويشارك في مراسم عقد الزواج والجنازات [٢٧]، وقد حرص رجال الدين وبكل الوسائل على جعل هؤلاء الأطفال أداة لينة في أيديهم لتدريبهم على الحياة اليومية داخل الكنيسة بقسوتها و صرامتها لدرجة أن القس كان

يضرب الطفل أحيانا ليلتزم الهدوء ويتعود على الصوم والصلاة وكان يدرب الأطفال على تكوين ما يعرف " بالجوقة " وهي مجموعة مكونة من ٨ أطفال ٤ من الصبية و ٤ من الفتيات مثل جوقة الكبار كما حرص على تدريب الأطفال على طريقة استلام الهدايا والهبات التي تقدم للكنيسة تحت إشراف القساوسة الذين كانوا يأمرون الآباء بتدريب الأطفال على حمل تبرعاتهم بأنفسهم لتقديمها للكنيسة ليتعود الطفل على العطاء و مساعدة المحتاجين وكانت الكنيسة تنظم لهم رحلات لزيارة المرضى ، والمساجين و نشأت مجموعات من هؤلاء الأطفال كانوا يفخرون بأنهم أبناء الكنيسة[٢٨]، حيث كانت الكنيسة تعدهم بالفعل ليصبحوا قساوسة وراهبات في المستقبل. إلا أن الكنيسة واجهت العديد من الصعاب مع بعض الأهالي حيث رغب الكثير من الآباء في استقطاب أبنائهم لتولي إدارة أراضيهم وثرواتهم والعمل بالحكم والسياسة والبعد عن العمل الكنسي، كما عانت الكنيسة أيضاً من تصرفات المراهقين منهم وما اقترن بهذه المرحلة من العنف والتهور والشجار والضجيج ، وتشويه الجدران وبعض الأعمال المخلة بالآداب بين الصبية والفتيات وعدم تعاون الآباء مع الكنيسة لحل هذه المشكلات، فقد أصر الآباء على عدم الاعتراف بأخطاء أبنائهم وحاولوا إظهارهم بالصورة المثلى.

ويشير البعض أن ذلك يرجع إلى جهل الآباء بمرحلة المراهقة و خطورتها على الأبناء ولذلك كثفت الكنيسة من جهودها لاستنزاف هذه الطاقة في بعض الأعمال النافعة ، حيث دفعت هؤلاء الصبية إلى مزيد من العمل والاشتراك في الطقوس اليومية و التوجه نحو أعمال الخير والإحسان، كما منعت دخول الصبية الذين فشلت في ترويضهم للكنيسة، ويقال إن رجال الدين شجعوا على عقد زيجات مبكرة بين هؤلاء المراهقين بموافقة الأهالي لاستنزاف تلك الطاقة [٢٩]كما حرص رجال الدين داخل الكنيسة على أخذ الاعتراف من هؤلاء الأولاد ابتداءً من سن١٤ واستثنى من

الاعتراف الأطفال المرضى والمختلين عقليا، كما دفعتهم نحو تعلم الغناء والموسيقى الخاصة بالقداس وأيضا تدريبهم على بعض الأعمال المسرحية مثل رواية " مريم الماجدولية" و قد نجح رجال الدين في توجيه طاقة الكثير ين من هؤلاء الأولاد نحو أعمال الخير والبناء[٣٠]، و من أكبر المشاكل التي واجهت الكنيسة أيضاً هي النقص الدائم في عدد هؤلاء الصبية نتيجة انتشار الأمراض والأوبئة التي حصدت أرواح الكثيرين منهم ، كما واجهت الكنيسة أيضاً ظاهرة الهروب والتي نتجت عن شدة وصرامة النظم الكنسية [٣١]. أما الأطفال الفرسان فقد اختلفت حياتهم كثيرا عن حياة الأبناء العاديين حيث كان ارتباطه بالكنيسة أقل بكثير من هذا القدر الذي تحدثنا عنه لأنه كان لزاماً عليه قضاء معظم وقته في التدريب على الحرب و القتال وحمل السلاح في قلعة الفارس الكبير وليس داخل القصور أو دور العبادة.

هذا عن علاقة الأطفال بالكنيسة أما عن ملامح حياتهم اليومية الأخرى فسوف نبدأ بحياة الأطفال الأرقاء الذين حرموا كما قلنا من الكثير من ملذات الحياة ومباهج الطفولة حيث كان يوم الطفل كله مشاق ومعاناة[٣٢] ، فهو لم يعرف مثلا إلا ارتداء سترة خشنة من الصوف الرمادي اللون المطعم بالأحمر مثل والديه، مع جورب سميك و قفاز من صوف الغنم وكانت الأم تحشو أبنائها من الداخل بملابس بالية وثقيلة [٣٣] ليشعر بالدفء مما جعل حركته بطيئة ورائحته كريهة حيث كان يعلق بهذه الثياب رائحة دخان الخشب المحترق للتدفئة بالإضافة إلى أن الغرفة التي ينام فيها غير صحية على الإطلاق ولا يوجد بها إلا نافذة صغيرة جدا لا تكفي لإعطاء قدر كافٍ من الهواء النقي و الضوء [٣٤]ناهيك أن هذا الطفل لم يملك رفاهية استخدام الصابون مثلا أو غيره من المنظفات ذات الرائحة الجميلة التي عرفها أبناء الأرستقراطيين، أما طعامه الوحيد والمسموح به من سيده الإقطاعي فهو العصيدة الساخنة والذرة والفول ونادرا ما يأكل

السمك[٣٥]، و أما الطير فلا يأكلها إلا إذا كان محظوظا ونجح في صيد أحد الطيور خلسة في أرض سيده الإقطاعي ، وكذلك ألعابه كانت بدائية وبسيطة تتمثل في كرة من بقايا الخيوط و الصوف و بعض الألعاب المصنوعة من الطين وقطع الخشب وقلما وجد وقتا ليمارس أي لعبة منها.

و إذا حدث الجفاف واشتعلت الحرائق يكون هؤلاء الأطفال هم أول الضحايا ، وأكثر من ذلك إذا مات الأب وانتقلت مسئولية الأرض إلى الابن فإن عليه دفع ضريبة لسيده الإقطاعي وكأنها ضريبة عن الموت كما عانى هؤلاء الأطفال من الزج بهم إلى الزواج المبكر لزيادة الإنجاب، ورغم فشل هذه التجربة بين هؤلاء الصغار فلم يكن الطلاق ظاهرة عامة و لم يكن يتم إلا في حالات الزنا أو عدم القدرة على إنجاب الصبي حتى هذه لم يكن يقدر عليها العبيد إذ لابد من التواطؤ مع القس ليتم الطلاق كما سبق القول [٣٦].

أما عن كيفية قضاء اليوم في حياة الطفل الارستقراطي فقد اختلفت كثيرا عن حياة هؤلاء البؤساء، فقد كان الطفل يبدأ يومه بالاستحمام بالماء والصابون، وقص الأظافر والشعر بصفة دائمة كما كان ارتداء الثياب النظيفة ذات الألوان الزاهية التي تناسب عمر الطفولة والصبا أمراً عادياً، وكان يأكل طعاما متنوعا ويشرب الجعة والنبيذ بما لا يزيد عن ثلاثة أكواب في اليوم وكانت هناك أنواع خاصة بالأطفال، و كان الجلوس على المائدة له نظم وآداب، حقيقة أنها لم تصل إلى حد الرفاهية، و لكن شكل مائدة الأغنياء اختلف تماما عن مائدة العبيد وكان لزاما على الجميع أن يشكر الرب قبل تناول الطعام ولا يسمح باصطحاب الحيوانات الأليفة أثناء الطعام، و كان الأطفال يأكلون بالملاعق و الشوك التي كانت تجمع في مكان محدد على المائدة ويأخذ كل طفل أو صبي ما يحتاجه منها، أما فضلات الطعام فلا تنثر على المائدة بل تخفى أسفل طبقه مثل بقايا السمك

والطيور وإذا دخل النبيل أو البارون على أبنائه أثناء الطعام فلابد أن يخلع قبعته تحية للمائدة وتفاؤلا بمزيد من الرزق(٣٧).

أما عن وسائل الترفيه والألعاب التي كان يمارسها أبناء الطبقة الأرستقراطية فقد تمثلت في صناعة الألعاب الورقية ذات الألوان الزاهية وعرفوا لعبة القوارب كما عرفوا لعبة الأطباق الطائرة. و ما يشبه كرة التنس الحالية ورياضة الصيد والبلي المصنوع من الرخام ونظراً لأن هذه اللعبة قد تطورت إلى ما يشبه القمار مما كان يثير البغضاء والمشاحنات بين أبناء النبلاء وخاصة في سن المراهقة لذلك نهى الأمراء و رجال الدين عن هذه اللعبة(٣٨) و أكثروا من الاحتفالات بالمهرجانات الخاصة بأعياد القدسيين وعزف الموسيقى والغناء الديني والطريف أن هذه الاحتفالات كانت فرصة للتعارف والإعجاب والرومانسية المبكرة بين الصبية والفتيات مما أدى إلى ظهور قصائد الحب و الغزل (٣٩).

أما عن الحياة اليومية لأبناء الفرسان فقد ارتبطت بقصر الأمير الإقطاعي الذي يكون في الغالب سيد والده ولم تختلف نوعية طعامه عن طعام سيده مع بعض الخشونة المطلوبة والتي تتماشى مع حياة الفارس في الحرب و القتال و كان يبدأ يومه أيضا بالصلاة و النظافة البدنية، وبمعنى أدق كان يوم الفارس الصغير لا يختلف كثيراً عن الفارس الحقيقي فهو شديد الارتباط به في برنامجه اليومي من حيث المأكل و المشرب و التدريب على حياة قاسية خشنة، والأكثر من ذلك أن هؤلاء الصبية كانوا يتحملون أيضا مشقة البعد عن ذويهم ليعيشوا في قلاع الفرسان طيلة فترة التدريب، حتى إذا بلغ العشرين من عمره كان يتم تنصيبه فارسا في احتفال مهيب. حيث يركع أمام فارس قديم و يتلقى ضربة على كتفه تعني أنه جرى ترسيمه فارسا، أما عن ألعاب الفارس الصغير و أوقات ترفيهه فكانت المبارزة بالسيوف، و المصارعة الخشنة ورمي النبال واللعب بالرمح و لكن في نمط طفولي، وليس بأسلحة حقيقية إلا حين يبلغ السن التي تؤهله ليكون

فارسا حقيقيا، ويقال إنه عثر داخل إحدى القلاع في إنجلترا على لعبة الشطرنج و لعبة أشبه بالطاولة مما يدل على أن الفارس الصغير تمتع قليلا ببعض الألعاب الأخرى غير السلاح والسيوف[٤٠].

ورغم اختلاف نمط الحياة اليومية لكل طفل حسب طبقته الاجتماعية إلا أن مساعدة المحتاجين و إنقاذ الغرقى و العطف على المرضى و الأيتام و المسجونين، و احترام كبار السن والالتزام بتعاليم الكنيسة و الصلاة كل هذه الصفات تأصلت في طفل العصور الوسطى عموماً. حيث التزم الجميع بمفهوم الثواب والعقاب و كان العقاب البدني والضرب بالعصا مسئولية رجل الدين و الآباء أحيانا أما عقوبة الفارس فكانت مسئولية الفارس الكبير الذي يتدرب على يديه.

و يتهكم أحد المؤرخين على هذا العقاب قائلا " ألا يكفي أبناء العبيد العقاب الأزلي الذي لحق بهم منذ الميلاد و حتى الموت غرقا أو حرقا أو دهسا تحت أرجل العربات ألا يكفي هؤلاء الأطفال الحرمان من الحب الأبوي و العطف، و شدة البؤس و الألم، يكفي هؤلاء طفولتهم الموءودة و أحلامهم المفقودة و المراهقة المثقلة بأعباء الأسرة و الزوجة و الأبناء حتى الموت عندهم كان يتم في صمت لا حزن فيه و لا شاهد عليه، وهذا كله ما لم يشعر به أبناء الطبقات الأرستقراطية الذين عاشوا داخل قصورهم و أبراجهم العاجية"[٤١] .

أما عن موضوع تعليم أطفال العصور الوسطى فهو أيضاً يشكل قضية هامة في حياة هؤلاء الأبناء حيث تطور المجتمع بشكل سريع و تزايد الاهتمام بالتعليم منذ بداية القرن ١١ حين ظهرت صور عديدة لتطور المجتمع مثل ظهور المدن و انتعاش التجارة و ظهور ما عرف بالنقابات الحرفية كل ذلك ساعد في اهتزاز و زوال هذه النظم الاجتماعية القائمة على السخرة والإقطاع، و انفرط عقد الأسرة الواحدة [٤٢] و تداعى النظام الطبقي بشكل كبير و هجر الكثير من الأبناء الأقنان و العبيد الأرض[٤٣]

بالإضافة إلى أن ظهور الحركة الصليبية أدت إلى تزايد حلم الرحيل إلى المشرق الإسلامي حيث الثروات والخيرات وما تبعه من رحيل أبناء كل الطبقات حتى طبقة النبلاء و الفرسان حيث حلم الابن الصغير بتكوين إقطاع له في المشرق بعيدا عن النظم البالية في أوربا والتي تورث ثروة الأب إلى الابن الأكبر فقط وبدأ الجميع يبحث عن متنفس له من هذه الحياة القاسية التي تضاءل فيها حلم الطفولة و آمال المراهقة.

و في بداية هذا التغيير تزايد الإقبال على التعليم ، حقيقة أن الأديرة و الكنائس لعبت دورا هاما في هذه القضية لكن معظم الأطفال كان ينظر إليها بعين الكراهية و البغضاء نظرا للتربية الصارمة و نظم التعليم القاسية التي اتبعها رجال الدين مع هؤلاء الأطفال ، وكان أبناء النبلاء يفضلون و يقبلون على مدارس القصور و يهربون من مدارس الكنائس التي أصبحت عامل طرد لهؤلاء الصبية الصغار .

حتى إن أحد الملوك وهو ثيودريك ملك القوط منع إرسال أبناء القوط إلى المدارس محتجاً بأن الصغير الذي يشب على عصا المعلم ورجل الدين لن تكون لديه الشجاعة الكاملة [٤٤] في المستقبل لمواجهة السيوف والحراب، فقد ضجر هؤلاء الأطفال بأسلوب الحفظ و التلقين والتعليم الديني ودراسة مبادئ اللاهوت ، بالإضافة إلى ما اتسم به رجل الدين من شدة وصرامة تصل إلى حد الضرب المبرح بل أصبح رجل الدين صورة منفرة للطفل ارتبط في ذهنه بالواجبات الثقيلة والمملة وحرم الطفل من متعة الإجازة بيوم الأحد رغم قدسية هذا اليوم عند الجميع حيث منع أن يجبر أحد النبلاء عماله على العمل يوم الأحد وإذا شكا أحد للكنيسة فقد كانت تلزم النبيل بمنح ذلك العامل بعضاً من التعويضات نظير حرمانه من يوم الأحد في حين تجاهلت الكنيسة هذا المبدأ مع الأطفال لذا فقد شعر الجميع بالدور الخاطئ والاتجاه التربوي السلبي الذي تمارسه الكنائس مع هؤلاء الأطفال وأصبحت ظاهرة الهروب والغياب من مدارس الكنائس أو الأديرة شيئا

مألوفا وتزايدت حالات العنف و الشجار وتحطيم النوافذ وكسر أبواب القاعات بين الأطفال.

بالإضافة إلى افتقاد المودة بين الطفل والمعلمين من رجال الدين، و لم يسأل المعلم الطفل يوما عن سبب غيابه أو حاول حل مشاكله بل ترك توضيح هذه المسألة للأبوين و لم تعالج الكنيسة هذه السلبيات ، لذا فشلت الأديرة في استقطاب هؤلاء الصغار ، و لم تأت الشدة و الصرامة مع الطفل بأية نتائج مثمرة، هذا ما تداركته مدارس القصور و الأسقفيات[٤٥] التي حاولت معالجة هذه السلبيات ابتداءً من القرن ١٢ م ، وأجبر رجال الدين في الكاتدرائيات على التخلي عن الشدة و العقاب و اختفت العصا تدريجياً من أيديهم.

و قد استهوى هذا التغيير جميع الأطفال و حدث تقارباً تدريجياً و مودة بين الطفل و أستاذه و شعر الأبناء بقدر من الراحة و الطمأنينة تجاه هذا النمط الجديد من العلاقة بينهما مما كان له آثار إيجابية و زاد الإقبال على التعليم لاكتساب معارف ومواد جديدة داخل الكاتدرائيات مثل العلوم و الفنون و الموسيقى والشعر و النثر والأدب بالإضافة إلى علوم الدين و اللاهوت، كما اهتم رجال الدين بإنشاء المكتبات [٤٦]، ومراكز الخدمة الاجتماعية لتشجيع الأطفال على البقاء أكبر وقت ممكن داخل الكنيسة والاستمتاع بممارسة الكثير من الأنشطة، كما حرص الأستاذ على ممارسة التدريبات العملية في تدريس النحو و الشعر و النثر و أقبل الجميع على هذا الأسلوب الشيق والمحبب للنفس وأصبحت مدارس إنجلترا نموذجا يحتذى به في اجتذاب الأطفال و إقبالهم على التعليم ، كما اشتهرت في فرنسا مدارس شارتر Charter وريمس Rems و ليون Leon [٤٧] ودرست علوم ومعارف جديدة مثل الفلك و الرياضيات ومن الطريف أنه حتى أبناء الفقراء و المعدمين سمح لهم بدخول هذه المدارس مع نهاية القرن ١٢ م بل قام رجال الدين بإعفائهم من المصروفات، وخاصة من توسم فيه

رجل الدين إمكانية العمل داخل الكاتدرائيات لذلك تزايد أعداد الطلبة من كل الطبقات وكان وجود الفقراء في التعليم هدفاً أو بداية مبكرة لمحو عار العبودية و المذلة التي ارتبطت بالنظم الإقطاعية والتي كانت في طريقها إلى الزوال.

كما ساهم الإقبال الشديد على التعليم في تطور و نهضة مدارس قصور الأمراء والنبلاء و رغم أنها كانت قاصرة على أبنائهم فقط إلا أنها كانت صرحاً قوياً لتعليم الصغار، الذين لم يكتفوا بهذا القدر من التعليم بل اتجهت الجهود و الأنظار إلى نشأة الجامعات و خاصة في فرنسا [٤٨] وبدأ هؤلاء الصبية من سن ١٢ عاما يلتحقون بالجامعات و كان الطلاب الفقراء أشد جلدا و إصرارا على تحمل المشاق من أجل التعليم وكانوا يقومون بتقديم خدمات كبيرة للكنيسة لتضاعف من المساعدات المادية لهم ليتمكنوا من الحصول على المسكن والمأكل ونظراً لتزايد الإقبال على التعليم فقد أنشئ ما يعرف باسم " الرابطة " و كانت تضم أبناء المقاطعة الواحدة من المغتربين من مدن فرنسا و إنجلترا.

واستطاع هؤلاء الطلبة أن يكون لهم صوت مسموع في الجامعة و تفاعل معهم أهالي المدن الفرنسية، وساهموا في حل مشاكلهم الخاصة بالإقامة وذلك بان أجروا لهم منازلهم لمدة عام قابلة للتجديد، واستطاعت مدينة باريس أن تقفز بالنظام الجامعي خطوات كبيرة وأصبحت قدوة لإنجلترا في هذا المجال، حيث تمكن أساتذة باريس من إدارة شئون الجامعة و أشركوا الطلاب معهم في كثير من الأمور ، و لم يسمع أن قام طلبة الجامعة في باريس مثلاً بأي نوع من أنواع التمرد أو التذمر رغم أن معظم هؤلاء الطلاب كانت أعمارهم تتراوح ما بين ١٢-١٥عاما[٤٩]، مما سهل من مهمة الأساتذة للنهوض بالتعليم عكس الحال مثلا في جامعة بولونيا فنظرا لأن أعمار الطلاب كانت كبيرة نسبيا لذا فقد تحدوا النظم الجامعية ووصل الأمر لحد اختيار الأساتذة و رئيس الجامعة و صعب السيطرة عليهم مثلما

كان الحال مع طلبة باريس من الصبية و المراهقين، وقد تطورت النظم داخل جامعات عظيمة مثل أكسفورد وكامبردج وانتهت مشكلات الكثير من الطلبة و خاصة المغتربين ، و زادت التبرعات من أجلهم و تجمع أعمار المرحلة الواحدة في تجمعات سكنية تحت إشراف أصحاب المنازل ثم تحول بعد ذلك إلى إدارة الجامعة.

و في بعض الأحيان واجه المسئولون عن شئون الجامعة مشاكل تتعلق بمرحلة المراهقة التي لم تخلو من التهور والاندفاع وراء الشهوات و الملذات وصل أحيانا للانحراف بسبب قلة المراقبة من الأهل و كثرة عدد الطلبة، مما دفع بالكثير من أثرياء أوربا إلى وقف الأموال و الممتلكات للمساهمة في حل مشاكل السكن و الطعام والإشراف الاجتماعي الدقيق على سلوكيات هؤلاء الصبية المغتربين من طلاب العلم.

ومن أشهر هذه الشخصيات روبرت السور بوني أحد الأثرياء المعروفين في باريس Robert De Sorbon [٥٠] فقد أقام أكبر مجمع لإيواء الطلبة في باريس ، مقابل مبلغ زهيد يدفعه الطالب ، كما تزايد تعاطف أهالي المدن الفرنسية مع الطلبة و خاصة صغار السن إلا أن الكثير من المصادر أشارت إلى تزايد حالات الانحراف و سوء الأخلاق وأصبح هؤلاء الأولاد بحاجة إلى من يشملهم برعاية أكبر و يشرف عليهم و نجحت إدارة بعض الجامعات في احتواء الموقف و طردت عدداً كبيراً من الطلاب المستهترين و المنحرفين و على الفور تجاوب الأولاد واثبتوا جدارة عالية في تجاوز تلك الانحرافات وانصهروا في بوتقة العلوم و المعارف.

بل أصبح طلاب جامعة باريس مثلاً سفراء لبلادهم في أنحاء أوربا و كانوا أينما حلوا في مدينة ساهموا بمساعدة أساتذتهم في تكوين جامعات جديدة تسير على نفس خطى وسياسة الجامعة الأم في فرنسا و أصبحت جامعة باريس نموذجا يحتذى به في كل جامعات أوربا [٥١].

و قد شهدت هذه المرحلة أيضا بداية ظهور النقابات فقد حرص الأبناء الذين لم يلتحقوا بالجامعات على الاشتراك في النقابات الحرفية و هي الجهات المسئولة عن تعليم الحرف المختلفة مثل الحدادة والنجارة وصناعة الجلود و النسيج و غيرها من الحرف و يقال إن هذه النقابات اشترطت على الأطفال الذين يلتحقون بها ضرورة الإلمام بمبادئ القراءة و الكتابة والحساب لذا حرص الأولاد منذ نهاية القرن ١١ على الذهاب لمدارس الأسقفيات والكاتدرائيات للتعليم يلي ذلك الذهاب للقاء " أسطى الحرفة " و ذلك بصحبة والد الطفل على أن يدفع رسما معينا لينضم ابنه عند هذا الأسطى أو ذاك و كان صاحب الحرفة يشترط على الأب وابنه احترام أسرار المهنة و طاعة الأوامر والسلوك الطيب.

ولم يكن مسموحا للطفل الخروج أو العمل نهائيا خارج نطاق الحرفة أو النقابة التي قبل فيها، كما التحقت الفتيات في سن العاشرة بالنقابات أيضا و كانت زوجة الأسطى هي المسئولة عن تعليمهن مبادئ الحياكة وغزل الصوف وطحن الحبوب لكن الفتيات لم يكن لديهن الصبر والمواظبة مثل الصبية خاصة أن الآباء كانوا يتعجلون بزواج بناتهن .أما الولد فكان يستمر في النقابة ما لا يقل عن ٧ سنوات تحت إشراف الأسطى ليجيد الحرفة [٥٢] و كان الأولاد يقيمون داخل منزل الأسطى و مع أسرته لذا نشأت علاقات أسرية طيبة و كيرا ما تزوج الأولاد من بنات الأسطى نفسه لأن هذه الزيجة كانت تضمن له إمكانية الاستقلال عن الأسطى والعمل بمفرده بعد انتهاء فترة تدريبه .

وقد وضعت النقابات شروطا صارمة لحماية هؤلاء الصغار والحفاظ عليهم من جريمة التحرش الجنسي من قبل الأسطى و كانت العقوبة تصل أحياناً إلى حد سجن الأسطى و إغلاق مركز التدريب التابع له إذا ثبتت الجريمة [٥٣] ، كما وفرت لهم الرعاية الصحية وضمنت لهؤلاء الأطفال حقوقهم المادية كما حرمت النقابة الفصل التعسفي، حيث يلتزم المتدرب

بالأمانة والسرية، وضرورة إتقان الحرفة بمهارة عالية [٥٤] وقد ضرب أبناء الحرفة الواحدة مثلا عالياً في التعاون و التآلف و المحبة في السراء و الضراء، وكانوا يحيون الأعياد الدينية بصورة جماعية و بمشاركة أسطى الحرفة و زوجته اللذين حرصا على تعويض هؤلاء الأبناء إحساس البعد عن ذويهم و رغم هذا فقد افتقد الكثيرون من هؤلاء الأطفال الحياة الأسرية الحقيقية و زاد الحنين للأهل و أخيرا كان لكل حرفة زي خاص يميزها عن الحرف الأخرى وقد التزم جميع الصبية بهذا.

ولكن وبمرور الوقت أصاب الضعف والخلل كيان هذه النقابات ووجدنا هؤلاء الأولاد ينتقلون من حرفة إلى أخرى دون احترام للقوانين والنظم ومنهم من لم يتمكن من الالتحاق بأي حرفة على الإطلاق بسبب اشتراط الأسطى عدداً معيناً من الصبية والتزامات مادية أخرى لم يستطع هؤلاء الصغار الوفاء بها ، لذلك و جدنا نوعا آخر من هؤلاء الأولاد فضلوا العمل كخدم في بيوت الأغنياء من التجار في المدن و من كان يترك هذا المنزل أو ذاك كان يحرص على أن يلحق أخاه أو أحد أقاربه في الخدمة[٥٥] أما الأبناء الأغنياء من طبقة النبلاء والأمراء السابقين فلم يجدوا غضاضة في العمل في إدارة أعمال و حسابات التجار الأغنياء طالما أن هذا سيحسن من أوضاعهم المالية – وأخيرا فإن هذه الفترة من حياة الصبية و مرحلة المراهقة تشهد بأنهم كانوا أبناء مثابرين جداً وحريصين على التمسك بحقوقهم لدرجة أن سجلات المحاكم لم تشهد قضايا تقدم بها هؤلاء الصبية ضد أسطوات المهنة بل بالعكس كان أصحاب الحرفة يشكون هؤلاء الأولاد و ذويهم لكثرة تهربهم ، و انتقالهم من حرفة إلى أخرى بحثا عن مصدر أفضل للرزق بصرف النظر عن القانون و الأعراف التي تحكم عمل النقابات الحرفية.

تبقى لنا إضافة أخيرة عن أطفال القرن ١٣ م أنه قد بلغ بهم الطموح والثقة بالنفس ما أشارت إليه المصادر حول حملة الأطفال الصليبيين و التي

خرجت من أوربا و كانت تحت زعامة أطفال من فرنسا و ألمانيا لا تزيد أعمارهم عن ١٢ عاما [٥٦] و منهم الطفل الفرنسي ستيفن Stephen والألماني نيكولا Nicola اللذين زعما رؤية السيد المسيح في الحلم و هو يحثهم على تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين و رغم الفشل الذريع الذي منيت به هاتان الحملتان إلا أنها أعطت لنا صورة حية عن أطفال العصور الوسطى و صبرهم وجلدهم و جرأتهم ليكونوا بعد ذلك نواة النهضة الأوربية[٥٧].

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية

1- Alexander, B. L'enfant a l'ombre des Cathedrales, lyon, 1985, pp. 112 – 120, Tania, B., Medieval Home, Companion, House Keeping in the 14th century, London, 1998.
2- Aresford, M.W, New Town of Middle Ages, Gascony, 1967.

3- Aries, p., centuries of Childhood, A Social History of Family life, N.Y, 1962.
4- Aries, p., Centuries of childhood, A Social History of Family Life, NewYork, 1962.
5- Barrony of Vatavia medieval Childhood, net, 101982, as 16, Hanawelt.
6- Burton, A., Pictorial and Material Evidence of the History of Childhood and family life, London, 1989.
7- Cambridge Medieval History, Cambridge, 1924. V. 5, P 772, Leach, (A.E)., Schools of Medieval England, London, 1915.
8- Carmi, J., " The Year of Eleanor of Castil's birth and Her Children by Edward I. " London, Medieval Studies, 1984.
9- Chambers, E.K., The Medieval Stage, London, 1903.
10- Children and Church, op. cit, net 28/6/2007.
11- Children and church, Op. cit., net, Pool, R.L., Illustration from the History of Medieval Thoughts, N.Y, 1920.
12- Children and the Church in Medieval Ages, Cambridge University press, 1994, net, 28/6/2007.
13- Deitz, A Political and Social History, New York, 1937.

14- Denholm-Young, N., Feudel Society in the 13th century, the knights, History xxix, 1944.
15- Duby, G., Youth in Aristocratic Society, Northern France in 12th Century, London, 1977.
16- E.H.D. Vol. II, the Village Community, PP 842 – 843.
17- E.H.D., op. cit, p. 784, Marc, B., Feudal Society, Vol. I. Chicago University Press, 1961.
18- Eileen, p., Medieval Woman, Cambridge Press, 1995.
19- English Historical Documents, Edited by, Harry Rothwell, Vol. II, London, 1975.
20- Evelyn-white, The boy Bishop, Episcopes Puerorum, Journal of British Archaeological Association, 1905.
21- Eyre, E., European Civilization, Vol. 3, the Middle Ages, London, 1935.
22- Frances and Joseph, G, Marriage and the family in the Middle Ages, Harper, row, 1987.
23- Frances And Joseph, G., Marriage and Family in the Middle Ages, Harbors Row, 1989.
24- Giladi, A, Infants, Children and Death in Medieval Muslim Society, net, 3/3/345.
25- Hanawelt, B. A. Peasant Families in Medieval England, Oxford, University, 1986.

26- Hanawelt, b., Medieval Lists and Study of Childhood, Speculum,77, 2002.
27- Hanawelt, B., the experience of Childhood in the History, Oxford, 1984.
28- Hanawelt, Growing up in Medieval London, Oxford press, 1993.
29- Hildebrand, M.M., The External Schools in Carolingian Society, Leiden Brill, 1992.
30- Hilton, R. H., English and French Towns in Feudal Society, A Comparability Study, Arkansas, 1993.
31- Homans, G., English Villagers of the 13th Century, N.Y, 1995.
32- J.w., The Middle Ages, 2 vols, London, V.2, 1931.
33- James, S. A., Knowledge of Childhood in the Middle Ages, Paderborn, 1980.
34- John, B., the kindness of Stranger, the Abandonment of Children in Western Europ, NewYork, 1988.
35- Johnstone, Hilda, Everyday life in Some Medieval Records, History, X11, 1927.
36- Krause, J., The Medieval Household Large or Small, E con. Hist, Rev., 2nd ser, Ix, 1956.
37- Lavisse, E., Histoire de France, paris, 1911.

38- Leach, A.E,. Schools of Medieval England, London, 1915.
39- Lioyd, M., The History of Childhood, the Evolution of Parent – Child relationships as a Factor in History, 1974, London, 1980.
40- Lioyd, The History of Childhood.
41- Marforie, R. life in Medieval Times, Barkley, 1979.
42- Mary, E., and kowoleski., Women and Power in the Middle Ages, Cambridge, 1993.
43- Mayke de Jong, Growing up in Carolinian Monastery, Journal of Medieval History, 1983.
44- Medieval Child, Apprenticeship, net, 27/6/2007, Hanawelt, The Experience of Childhood in History.
45- Medieval Childhood, Apprenticeship. Net, 27/6/2007.
46- Medieval childhood, The Playful years Medieval Children, Melissa Smell, net, 11/101, 2005.
47- Melisa Snell, the Medieval Child. Part 3
48- Melissa snell, op. cit. net, Pierrene Economic and Social History.
49- Mortality, Enfand and Child, Journal of the Economic and Social History of the orient , 32, 1989.

50- Nightingale, M., Ploughing and Field Shape, Antiquity, 1953.
51- Orme, N., Medieval Children, London 1968, p. 84, Trevelyan, G., History of England, part, I, london, 1920.
52- Orme, N., Medieval Children, London, 1968.
53- Painter, Med. Society, pp. 81-84, Caruswilson, E., an Industrial Revolution in the 13th Century, Econ. Hist. Rer., Xi, 1954.
54- Pegues, F., Royal Support of Students in the 13th Century, speculum xxxi, 1956.
55- Peter J., Childhood and Youth in the Early Middle Ages, N. Y, 2004.
56- Peter, Edward., Childhood and Youth in the Early Middle Ages, New York 2004.
57- Philippe, A., A Social History of Family life, New York, 1960.
58- Phillips, J., Children On Brasses. London, 1970.
59- Pierenne, H., Economic and Social History of the Middle Ages, London, 1947.
60- Pierre, B., from Slavery to Feudalism, Arkansas University, press, 1989.
61- Pierre, B., op. cit., p. 84, Stephenson, op, cit, p. 257, Painter, S., Medieval Society, New York, 1955.

62- Pierre, R., L, Enfance Au Moyan Age, Paris, 1994.
63- Pierrenne, H., Medieval Cities, trans Halsey, prin, 1939, pp. 126 – 129, Cam. Med. Hist.
64- Raftis, T.A., Peasant. Nobility and Freedom, in Medieval England, London, 1965
65- Rashdall, H., The Universities of Europe in the Middle Ages.
66- Rishanger, W., Chronic et Annales, Regnantibus Henrico Tertio et Edwardo Primo, London, 1865.
67- Robert, B. K., Medieval Fishponds, Amateur, London, 1966.
68- Robinson, W. C., Money. Population and Economic Change in Medieval Europ, Econ. Hist. Rev, Poston, 1959.
69- Scott, E.K., Early Cloth Fulling and its Machinery, London, 1933.
70- Shulamith, S., chilhood in the Middle Ages, London, 1992.
71- Sophie Osterwijk, The Appearance of Children on Medieval Tomb Monuments. Harlaxton, 1997.
72- Sophie, O., The Medieval Child, an Unknown phenomenon, the online Reference book for Medieval Studies, 6/6/2007.

73- Stenton, D.M., The Free Peasantry of the Danelaw, London, 1920.
74- Stephenson, C., Medieval Feudalism, New York, 1942.
75- Stephenson, op. cit, p. 45, Cam. Med. Hist, V.6, p. 802, Pierrene, C., La Civilization Occidental au Moyan Age, Paris 1933.
76- The boy bishop in Medieval England, Journal of the British Archaeo Logical Association, 1905.
77- The Medieval Child Recreation, Melissa Snell, net, 11/01/2005.
78- Voaden I Stephanie, Representation of the Childhood of Medieval Visionaries, Arisona University, press 1998.
Wilson, A., The Infancy of the History of Childhood, N.Y, 1980.

قائمة المصادر والمراجع العربية

١- سامية عامر (دكتور) : الملك إدوارد الأول والبرلمان النموذجي – بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة المنيا.
٢- سعيد عاشور (دكتور): أوروبا العصور الوسطى ، النهضات والنظم والحضارة ، جـ ٢ ، القاهرة ١٩٧٥.

٣- كانتور (نورمان) : التاريخ الوسيط ، قصة حضارة ، ترجمة د. قاسم عبده قاسم ، قسمان ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ١٩٨٣.
٤- محمد مرسي الشيخ (دكتور) : النظم والحضارة الأوروبية في العصور الوسطى ، الإسكندرية ، ١٩٩٨ ، ص ١٠٩ – ١١٠ ، سعيد عاشور المرجع السابق ، جـ ٢.
وجوزيف نسيم يوسف (دكتور) : تاريخ العصور الوسطى وحضارتها ، الإسكندرية.

الهوامش

(1) English Historical Documents, Edited by, Harry Rothwell, Vol. II, London, 1975, p. 783. Raftis, T.A., Peasant. Nobility and Freedom, in Medieval England, London, 1965, pp. 83 – 100, Philippe, A., A Social History of Family life, New York, 1960, pp. 42 – 48.

(2)E.H.D., op. cit, p. 784, Marc, B., Feudal Society, Vol. I. Chicago University Press, 1961, pp. 66 – 64, Nightingale, M., Ploughing and Field Shape, Antiquity, 1953, pp. 20- 26.

(3)E.H.D. Vol. II, the Village Community, PP 842 – 843.

(٤)سعيد عاشور (دكتور): أوروبا العصور الوسطى ، النهضات والنظم والحضارة ، جـ ٢ ، القـاهرة ١٩٧٥ ، ص ٢٩٨ وأيضـاً Stephenson, C., Medieval Feudalism, New York, 1942 , p. 268.

(5)Crump (C.G), Jacob (E.F) The legacy of the middle Ages, Oxford, 1962, p. 428.

(6)Frances And Joseph, G., Marriage and Family in the Middle Ages, Harbors Row, 1989, p. 196.

(7)Stenton, D.M., The Free Peasantry of the Danelaw, London, 1920, pp. 18 – 23 , Hanawelt, B. A. Peasant Families in Medieval England, Oxford, University, 1986. pp. 17 – 22.

(8)Barrony of Vatavia medieval Childhood, net, 101982, as 16, Hanawelt, op. cit., p. 22.

(9)Orme, N., Medieval Children, London 1968, p. 84, Trevelyan, G., History of England, part, I, london, 1920, p. 66.

(10)Chambers, E.K., The Medieval Stage, London, 1903, p.B 36, 369 – 371, Evelywhite, the boy bishop in Medieval England, Journal of the British Archaeo Logical Association, 1905, pp. 30, 48, pp. 231 – 256.

(11)Children and the Church in Medieval Ages, Cambridge University press, 1994, net, 28/6/2007.

(12)Eileen, p., Medieval Woman, Cambridge Press, 1995, p. 75.

(13)Marforie, R. life in Medieval Times, Barkley, 1979, p. 143.

(14)Orme, N., Medieval Children, London, 1968, p. 84.

(15)Aries, p., centuries of Childhood, A Social History of Family life, N.Y, 1962, pp. 66 – 70.

(16)Giladi, A, Infants, Children and Death in Medieval Muslim Society, net, 3/3/345.

(17)Hanawelt, B., the experience of Childhood in the History, Oxford, 1984, p. 188.

(18)Aries, p., Centuries of childhood, A Social History of Family Life, NewYork, 1962, pp. 66 – 70.

(19)Hanawelt, b., Medieval Lists and Study of Childhood, Speculum,77, 2002, pp. 440-460, from net, Blackwell Publishing Book.

(20)John, B., the kindness of Stranger, the Abandonment of Children in Western Europ, NewYork, 1988, pp. 74 – 82.

(21)Carmi, J., " The Year of Eleanor of Castil's birth and Her Children by Edward I. " London, Medieval Studies, 1984, p. 46 , pp. 245 – 263, Rishanger, W., Chronic et Annales, Regnantibus Henrico Tertio et Edwardo Primo, London, 1865, P2 , 78, phillips, J., Children On Brasses. London, 1970, p. 10, Giladi, A., Infant, Children and Death in Medieval Muslim Society, net 13/3/345.

وأيضاً سامية عامر (دكتور) : الملك إدوارد الأول والبرلمان النموذجي – بحث منشور في مجلة كلية الآداب جامعة المنيا.

(22)Lioyd, M., The History of Childhood, the Evolution of Parent – Child relationships as a Factor in History, 1974, London, 1980, p. 67, 13 – 138, Melisa Snell, the Medieval Child. Part 3, pp. 4 – 6 net.

(23)Mortality, Enfand and Child, Journal of the Economic and Social History of the orient , 32, 1989, pp. 121 – 152, net, Avenar Giladi.

(24)Peter, Edward., Childhood and Youth in the Early Middle Ages, New York 2004, pp. 11 – 23.

(25)Sophie Osterwijk, The Appearance of Children on Medieval Tomb Monuments. Harlaxton, 1997, pp. 82-86.

محمد مرسي الشيخ (دكتور) : النظم والحضارة الأوروبية في العصور الوسطى ، الإسكندرية ، ١٩٩٨ ، ص ١٠٩ – ١١٠ ، سعيد عاشور المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ، ٣٣٧ .

وجوزيف نسيم يوسف (دكتور) : تاريخ العصور الوسطى وحضارتها ، الإسكندرية ، ١٩٨٤، ص ٣٣٦ – ٣٣٧ .

(26)Children and Church, op. cit, net 28/6/2007.

(27)Evelyn-white, The boy Bishop, Episcopes Puerorum, Journal of British Archaeological Association, 1905, pp. 30 – 48, 231 – 256.

(28)Cambridge Medieval History, Cambridge, 1924. V. 5, P 772, Leach, (A.E)., Schools of Medieval England, London, 1915, pp. 156 – 78.

(29)Children and church, Op. cit., net, Pool, R.L., Illustration from the History of Medieval Thoughts, N.Y, 1920, PP, 114-119, Thompson, J.w., The Middle Ages, 2 vols, London, V.2, 1931, p. 742.

Scott, E.K., Early Cloth Fulling and its Machinery, London, 1933, pp. 31 – 52(٣٠)

وأيضاً جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ٢٣١.

(31)Shulamith, S., chilhood in the Middle Ages, London, 1992, pp. 74– 82, Pierre, R., L, Enfance Au Moyan Age, Paris, 1994, pp. 103 – 112..

(32)Krause, J., The Medieval Household Large or Small, E con. Hist, Rev., 2nd ser, Ix, 1956, pp. 420-432, pierre, B., from Slavery to Feudalism, Arkansas University, press, 1989, pp. 78 – 84.

(33)Hilton, R. H., English and French Towns in Feudal Society, A Comparability Study, Arkansas, 1993, pp. 53-61.

(34)Robert, B. K., Medieval Fishponds, Amateur, London, 1966, pp.93– 96, Homans, G., English Villagers of the 13th Century, N.Y, 1995, p. 84.

(35)Frances and Joseph, G, Marriage and the family in the Middle Ages, Harper, row, 1987, p. 197, James, S. A., Knowledge of Childhood in the Middle Ages, Paderborn, 1980, PP, 93 – 96 Philippe, A., Op-cit, pp. 103 – 106.

(36)Alexander, B. L'enfant a l'ombre des Cathedrales, lyon, 1985, pp. 112 – 120, Tania, B., Medieval Home, Companion, House Keeping in the 14th century, London, 1998, pp. 76 – 84.

(37)Johnstone, Hilda, Everyday life in Some Medieval Records, History, X11, 1927, pp. 1 – 12, Medieval childhood, The Playful years Medieval Children, Melissa Smell, net, 11/101, 2005.

(38)The Medieval Child Recreation, Melissa Snell, net, 11/01/2005.

(39)Stephenson, op. cit, p. 45, Cam. Med. Hist, V.6, p. 802, Pierrene, C., La Civilization Occidental au Moyan Age, Paris 1933, p. 212.

وللمزيد عن تنشئة الفارس انظر محمد الشيخ ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ ، سعيد عاشور : المرجع السابق، ص ٢٧٤ – ٢٧٩.

(40)Pierre, B., op. cit., p. 84, Stephenson, op, cit, p. 257, Painter, S., Medieval Society, New York, 1955, p. 50, Cam. Med. Hist. Vol. 7, p. 720, pierenne, H., Economic and Social History of the Middle Ages, London, 1947, pp. 42 – 44.

(41)Robinson, W. C., Money. Population and Economic Change in Medieval Europ, Econ. Hist. Rev, Poston, 1959, pp. 63 – 76, Deitz, A Political and Social History, New York, 1937, p. 126, Aresford, M.W, New Town of Middle Ages, Gascony, 1967, pp. 187 – 193.

(42)Denholm-Young, N., Feudel Society in the 13th century, the knights, History xxix, 1944, pp. 107 – 119.

سعيد عاشور (دكتور): المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية ١٩٧٦، القاهرة، ص ٣٩

(43)Pierrenne, H., Medieval Cities, trans Halsey, prin, 1939, pp. 126 – 129, Cam. Med. Hist, Vol. 6, p. 477.

(٤٤) سعيد عاشور (دكتور): المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية ١٩٧٦، القاهرة، ص ٣٩

(٤٥) كانتور (نورمان) : التاريخ الوسيط ، قصة حضارة ، ترجمة د. قاسم عبده قاسم ، قسمان ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ١٩٨٣ ، ق ، ٢ ، ص ٧٢٦ – ٧٢٨.

(46)Lioyd, The History of Childhood, op.cit., pp. 82 – 86.

(٤٧)جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق ، ص ٣٥٠ – ٣٥٣.

(٤٨) Leach, A.E,. Schools of Medieval England, London, 1915, pp. 155 – 179.

وأيضاً جوزيف نسيم يوسف : المرجع السابق ، ص ٣٥٢ ، محمد الشيخ : المرجع السابق ، ص ١١٣.

(49)Hildebrand, M.M., The External Schools in Carolingian Society, Leiden Brill, 1992, pp. 21 – 24 K 71, Mayke de Jong, Growing up in Carolinian Monastery, Journal of Medieval History, 1983, pp. 99 – 128.

(50)Eyre, E., European Civilization, Vol. 3, the Middle Ages, London, 1935, pp. 329 – 330., Voaden I Stephanie, Representation of the Childhood of Medieval Visionaries, Arisona University, press 1998, pp. 65 – 73, Eyre, op. cit., p. 333.

(51)Duby, G., Youth in Aristocratic Society, Northern France in 12th Century, London, 1977, pp. 112 – 122, Rashdall, H., The Universities of Europe in the Middle Ages, 3 vol, vol I, pp. 500 – 507, Oxford, 1951, Cam. Med. Hist, Vol. 6, p. 574.

(52)Peter J., Childhood and Youth in the Early Middle Ages, N. Y, 2004, PP, 10 – 28, Pegues, F., Royal Support of Students in the 13th Century, speculum xxxi, 1956, pp. 454 – 62.

(53)Burton, A., Pictorial and Material Evidence of the History of Childhood and family life, London, 1989, pp. 203 – 229, Wilson, A., The Infancy of the History of Childhood, N.Y, 1980, pp. 132 – 153.

(٥٤)Painter, Med. Society, pp. 81-84, Caruswilson, E., an Industrial Revolution in the 13th Century, Econ. Hist. Rer., Xi, 1954, pp. 183- 210.s

وأيضاً كانتور : المرجع السابق ، ص ١٩٧.

(٥٥)سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٣١٥ ، الشيخ : المرجع السابق ، ص ٩٢ – ٩٥ ، جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ – ٢٥٧.

(56)Medieval Child, Apprenticeship, net, 27/6/2007, Hanawelt, The Experience of Childhood in History, p. 146.

(57)Mary, E., and kowoleski., Women and Power in the Middle Ages, Cambridge, 1993, p. 49.